الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

الخامسة : أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر، ويحتجون به على صحة الشيء ، ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله ؛ فأتاهم بضد ذلك ، وأوضحه في غير موضع من القرآن .

****

قال المصنف رحمه الله تعالى : «**أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر**» ؛ هذه قاعده تدل على جاهلية أولئك وعدم تفكرهم في الأمور وتبصرهم فيها وبحثهم عن الحق والهدى ، وإنما يقيسون الأمور بمثل هذه الأقيسة الفاسدة التي يبنون عليها صحة الأمر الذي هم عليه .

في المسألة الأولى التي جاءت قبل هذه المسألة كانوا يبنون الباطل الذي هم عليه على التقليد الأعمى وأخذ قول الغير بغير دليل ، وهنا يجعلون حجتهم ومستندهم على الباطل الذي هم عليه كثرة عددهم ، ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥] أي من دلائل أننا على الحق وشواهد صحة ديننا وسلامة عقيدتنا أنَّا أهل كثرة في المال والأولاد ؛ قالوا كثرة أولادنا وكثرة أموالنا هذا دليل على أننا لا نعذب ، العذاب لا يصيبنا ، الدليل الكثرة .

وهذا يكثر في احتجاج هؤلاء على باطلهم بكونهم أكثر عدداً أو أكثر مالاً أو أكثر ولداً أو نحو ذلك، ثم في الوقت نفسه يُعملون الدليل من جهة أخرى يقولون: إن الدليل على بطلان ما جاء به الأنبياء أن أعدادهم قلة وأن أتباعهم شرذمة قليلون ، فقلة عدد من مع الأنبياء من الأتباع وكثرة عددهم هم يقولون هذا دليل على أننا نحن على حق وليس الأنبياء ومن اتبعهم ، قد جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((رأيت النبي يأتي يوم القيامة وليس معه أحد ، والنبي يأتي معه الرجل ، والنبي يأتي معه الرجلان ، والنبي يأتي معه الرهط العدد)) الذي هو دون العشرة ، فقلة العدد عند الأنبياء وقلة الأتباع وكثرة عددهم هم جعلوا ذلك دليلا على صحة ما هم عليه ودليلاً على بطلان ما جاء به الأنبياء .

فهذا قياس باطل وجاهلية جهلاء كان عليها هؤلاء القوم ؛ ولهذا قال المصنف رحمه الله مبيناً هذه الجاهلية قال :

«**أن من أكبر قواعدهم**» منبهاً بذلك إلى أن هذه قاعدة كبيرة جداً عند القوم «**الاغترار بالكثرة**» يغترون بكثرة عددهم.

«**أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالكثرة ، ويحتجون به على صحة الشي**» انتبه هنا إلى قوله رحمه الله «ويحتجون به على صحة الشيء» ، مثلاً إذا قيل لهم ما الدليل على صحة عبادتكم للأصنام؟ وعلى بطلان التوحيد الذي تدعو إليه الأنبياء؟ يقولون: أكثر الناس على هذا الشيء الذي نحن عليه ، أكثر الناس على هذا الأمر ، وأقل الناس هم الذين اتبعوا الانبياء ؛ فيجعلون دليل صحة ما هم عليه كثرة الناس !! أرأيتم لو كانت كثرة الناس اجتمعت على انتهاب أموال الناس بالباطل ، على الفواحش ، على الرذائل إلى آخر ذلك.. أيكون ذلك دليلاً على صحة هذه الأشياء؛ لولا فساد القوم وفساد عقولهم؟! يجعلون مقياس صحة الأمر وسلامته واستقامته كثرة من عليه .

وهذا الأمر جاهلية ، ولاتزال توجد كما أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام: ((لتَتَّبعنَّ سَنَن من كان قبلكم)) ، الآن يستدل بعض الناس على صحة مثلاً جماعته أو حزبه أو نحو ذلك بكثرة الأصوات وكثرة الناخبين فيقول: هذا دليل على صحة مانحن عليه وأننا نحن الأحق والأولى والأجدر ، أو يقال مثلا: الرأي العام يدل على كذا ، الرأي العام قد يكون أصحاب الرأي أو الغلبة جهلاء وسفهاء ولا يعرفون الحق ولا الهدى ، فكيف يُجعل كثرة العدد دليلًا على صحة الأمر واستقامته وسلامته؟! وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣] ، وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] ؛ «قليل من عبادي الشكور» هل هذا دليل على أن الأكثر وهم الكفور لله تبارك وتعالى هم الذين على الحق؟! في سورة الشعراء ذكر الله سبحانه وتعالى قَصَصَ عدد من الأنبياء وكان يذكر في خاتمة كل قصة في ثمانية مواضع تقريبا يذكر جل وعلا قوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٨] أي أكثرهم كافرين مشركين بالله . وقال جل وعلا في سورة يوسف: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] ، وقال : ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة ، فالكثرة ولو كانت كاثرة جداً وعدداً عظيما ليس دليلاً على صحة الإنسان أو صحة عقيدته أو صحة مذهبه أو صحة وجهته ، هذه ليست مقياساً ، والأصوات أيضاً ليست مقياساً ، قد يكون أكثر المصوّتين سفهاء وجهلاء ولا يتبصرون في حقائق الأمور ولا يعون، فالكثرة ليست مقياساً على صحة الأمر وسلامته واستقامته .

قال: «**ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله**» يجعلون هذا دليلا على بطلان الشيء ، يقولون: من الأدلة بطلان ما جاء به الأنبياء أنه أشياء غريبة ليست موجودة ، أو أعداد أتباع الأنبياء قليلون فهذا دليل على أن الأمر الذي عليه الأنبياء أمر باطل . قد قال عليه الصلاة والسلام: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)) ، وانتبه هنا إذا عاد الإسلام غريباً كيف تتحول حال كثير من الناس بسبب غلبة الجهل عليهم

وقلة العلم إلى تعظيم ما يخالف دين الأنبياء وما يدعو إليه الأنبياء بحجة أن أكثر الناس على ذلك ؛ وهذا نوع من غربة الدين ونوع من مشابهة أهل الجاهلية في هذه الخَصلة التي نبهه عليها المصنف رحمه الله تعالى.

قال: «**فأتاهم بضدِّ ذلك وأوضحه في غير موضع من القرآن**» يشير رحمه الله تعالى إلى الآيات الكثيرة التي فيها بيان الله سبحانه وتعالى إلى أن أكثر الناس على الباطل ، وأقلهم هم الذين على الحق وعلى الشكر لله عز وجل وعلى الإقامة لتوحيده جل وعلا ؛ مما يدل دلالةً واضحة إلى أن الكثرة ليست مقياساً لصحة الأمر الذي يعتقده الإنسان .

قال رحمه الله تعالى :

السادسة : الاحتجاج بالمتقدمين ؛ كقوله ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه:٥١] ، **وقوله :﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾** [المؤمنون:٢٤] .

****

السادسة من مسائل الجاهلية : «**الاحتجاج بالمتقدمين**» ؛ أي يحتجون على ما هم عليه من باطل ، أو يحتجون أيضا على أبطال ما جاء به الأنبياء بالمتقدمين ، كأن يقولوا مثلاً هذا الذي دعوتَ عليه لا نعرفه نحن ولا يعرفه آبائنا ولا أجدادنا ، فيحتجون بالمتقدمين . أو أيضا يحتجون بالمتقدمين على الممارسات الخاطئة التي هم عليها يقولون: هذا الذي نعمله نحن فعَلَه آباؤنا من قبل وفعله آباؤهم وآباء آبائهم ،كلهم كانوا يفعلون ذلك فمعنى ذلك كلنا على باطل وأنت وحدك على حق؟! والنفر الثلاثة أو الأربعة الذين معك أنتم الذين على حق؟! ونحن وآباؤنا وأجدادنا كل هؤلاء على باطل!! كل هذه الأمم على باطل وأنت وحدك على حق!! فيحتجون على باطلهم بالمتقدمين .

وهذا يكثر في احتجاج مشركين أهل الباطل في قديم الزمان وحديثه ؛ ولهذا أورد رحمه الله ما ذكره الله سبحانه وتعالى عن فرعون في محاجته لموسى عليه السلام ، لما ذكر له موسى الآيات البينات والشواهد الواضحات على وجوب عبادة الله عز وجل وإخلاص الدين له وبطلان الشرك الذي عليه هؤلاء؛ قال له فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه:٥١] أي فما شأن القرون الأولى الماضية ؟كلهم مضوا على مانحن عليه ، فهل هذا الذي عليه هؤلاء القرون الأولى باطل ، والذي أنت عليه وحدك هو الحق؟! ما بال القرون الأولى ؟! هكذا أورد فرعون هذا الكلام في سياق المحاجة بينه وبين موسى عليه السلام محتجاً بالقرون الأولى ، ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾.

وأورد أيضا رحمه الله قول أهل الشرك والباطل: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٢٤] ؛ يعني هذا الذي تدعونا إليه ما سبق أن سمعناه لا من الآباء ولا من الأجداد ولا من الأولين فينا ما سمعنا هذا ؛ مستدلين بذلك على بطلان الأمر.

وهذه الجاهلية موجودة في بعض الناس، بعض الناس يذكر له سنة صحيحة ثابتة وعقيدة واضحة عليها الدليل البين فيرفضها لا يقبلها ، وإذا قيل له لماذا؟ قال: ما سمعنا بهذا لا في آبائنا ولا في أجدادنا ولا .. ؛ فيجعل عدم سماعه في ذلك أو عدم وجود لهذا الأمر دليلاً على بطلانه ، فهذه جاهلية . يجب على المسلم أن يتفكر وأن يتدبر وأن يتبع الحق أينما وجده وأن يأخذ به إذا ظفر به .

قال رحمه الله تعالى :

السابعة : الاستدلال بقوم اعطوا قوى في الأفهام والأعمال وفي الملك والمال والجاه ؛ فرد الله ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف:٢٦] وقوله: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة:٨٩] ، وقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦] .

****

ثم ذكر هذه المسألة السابعة من مسائل الجاهلية : «**الاستدلال بقوم أُعطوا قوى في الأفهام والأعمال وفي الملك والمال والجاه**» يستدلون -أي على صحة ما هم عليه- بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال أو في الملك والمال والجاه. إذا قيل لأحد ما الدليل على صحة هذه العقيدة التي أنت عليها ؟ قال فلان ويشير إلى أحد البارزين في الفهم مثلاً وفي الذكاء ، أو أحد أصحاب الأموال الطائلة أو أصحاب الرئاسات والزعامات ؛يقول معنا فلان، بعضهم يقول في مقام الاستدلال : لو لم يكن معنا إلا فلان يكفي ؛ هذا حجة قاسمة لو لم يكن معنا إلا فلان هذا واحد وهو كافي فكيف ومعنا فلان وفلان وفلان!! هذا دليل هذا دليل واضح قاطع حاسم أن الذي نحن عليه هو الحق ، لو لم يكن معنا إلا فلان وحده كافي، ويشير إلى أحد مثلاً أصحاب الأموال الطائلة أو أصحاب الرئاسات، أو أصحاب الذكاء ممن لهم خبرة ودراية بأمور الدنيا ، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم:٧] ، فيشير مثلاً إلى أحد أهل الفهم والذكاء في أمور الدنيا يقول نحن معنا فلان يقول هل تشك في ذكائه ؟ هل تشك في فهم فلان ؟ هل تشك في رجاحة عقله؟! معنا هو فيجعلون هذا دليل على صحة الأمر الذي هم عليه ، وهذا نوع من الجاهلية التي كان عليها أولئك .

قال: «**الاستدلال بقوم أُعطوا قوى في الأفهام والأعمال وفي الملك والمال والجاه ؛ فردَّ الله ذلك**» أي رد الله عليهم هذا الاستدلال وهذا الاحتجاج بأن الذكاء والفطنة والرئاسة والمال وكثرة الأموال والأولاد هذا ليس دليلاً

على صحه الأمر، ومن ذلكم قوله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الأحقاف:٢٦] عندهم سمع، وعندهم بصر ،وعندهم أفئدة ،وكانوا أذكياء في أمور الدنيا وعلى معرفة وخبرة ودراية بهذه الأمور ، وأيضاً أعطاهم الله عز وجل تمكين ، مكَّن لهم، لكن ما أغنت عنهم، قوله تعالى ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ هذا فيه إبطال لمن يستدل على صحة ما هو عليه بقومٍ لهم أفهام أو لهم أعمال -يعني مثلاً منتجات أو خبرات أو أشياء تتعلق بمصالح الدنيا- أو أيضاً لهم ملك أو مال أو جاه ، فبين الله سبحانه وتعالى بهذا السياق أن وجود هذه الأشياء ليست دليلاً ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ .

قال : «**وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾** [البقرة:٨٩] **وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾** [البقرة:١٤٦]» ؛ الآية الأولى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ [الأحقاف:٢٦] هذه تتعلق بالمشركين والآيتين الأخريين تتعلق بأهل الكتاب ، وأنتم تعلمون أن المصنف يسوق الجاهليات الموجودة عند المشركين وعند أهل الكتاب .

فالشاهد هنا أنَّ الآية ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ ، وقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ هذا دليل على أن أهل الكتاب كان عندهم علم ، ومن العلم الذي كان عندهم -وانتبهوا هنا- معرفتهم بصحة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به ،حتى قبل مبعثه كانوا على علم أنه سيبعث وأنه على حق ؛ هذا العلم الذي كان عندهم والمعرفة التي وجدت عندهم قبل مبعثه ،حتى إن درجة علمهم بصحه ما هو عليه بلغت هذا المبلغ الذي ذكره الله قال : ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ ، مثل ما يعرف الرجل ابنه يعرفونه ؛ إذاً العلم موجود ، الفهم موجود ، الذكاء موجود ،لكن هل استجابوا له ؟ لم يستجيبوا إلا من منَّ الله عليه بالهداية منهم، وإلا لم يستجيبوا مع وجود هذا المعرفة .

فإذاً وجود الذكاء أو المعرفة أو الدراية بالأمور، أو التمكين أو المال أو الجاه أو نحو ذلك هذا ليس دليلاً على صحة حال الإنسان ومذهبه ؛ فهؤلاء اليهود كانوا على معرفة بمبعث النبي عليه الصلاة والسلام ،وكانوا يستفتحون به عليه الصلاة والسلام على الذين كفروا أي على المشركين قبل أن يبعث يقولون سيبعث رجل اسمه كذا ، صفته كذا ، يستفتحون به عليه الصلاة والسلام على الذين كفروا ، ولما بُعث كانوا يعرفونه معرفة جيدة كما يعرفون أبنائهم ،لكن هذه المعرفة لم يستفيدوا منها بالإيمان به وتصديق ما جاء به صلوات الله وسلامه عليه . ولهذا من

الناس كما قيل من يؤتى ذكاءً ولا يؤتى زكاءً ، ويؤتى فهمًا ولا يؤتى علماً ، يكون عنده فهم وعنده ذكاء لكن لا يؤتى زكاء، ولا يؤتى الزكاء إلا من منَّ الله سبحانه وتعالى عليه بذلك ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور:٢١] .

قال رحمه الله :

الثامنة: الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء، كقوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١]، وقوله: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [الأنعام:٥٣]؛ فرد الله بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣] .

****

هذه أيضاً من مسائل الجاهلية : «**الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتّبعه إلا الضعفاء**» أي الضعفاء من الناس في الأجسام وفي الأموال لم يتَّبعه إلا الضعفاء ؛ يقولون هذا دليل على بطلان ما يدعو إليه : أن أتباعه ضعفاء، وأنهم عدد من الضعفاء وقلة من الضعفاء وشرذمة من الضعفاء هذا دليل على بطلان ما يدعو إليه .

قال : «**كقوله ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾**» لا يمكن! لم يتّبعك إلا الأرذلون من الناس؛ أنتّبعك والحالة هذه!! فجعلوا كونَ أتباعه الارذلون أي قلة من الضعفاء دليلاً على بطلان ما يدعو إليه ، وجعلوه مانعاً لهم من قبول ما يدعوا إليه ، قالوا : ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ .

«**وقوله: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾**» أي ونحن الكثرة الكاثرة وهؤلاء القلة منَّ الله عليهم!! أي هداهم للحق وبصَّرهم به وصرفنا عنه ؛ أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا؟!

قال: «**فرد الله عليهم بقوله ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾**» ؛ فالله جل وعلا بصير وحكيم وعليم سبحانه وتعالى، يختص برحمته من يشاء ويمنُّ جلّ وعلا بفضله على من يشاء ، وهو حكيمٌ سبحانه وتعالى لا يفعل شيء إلا عن حكمة ، فردَّ الله سبحانه عليهم باطلهم بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ .

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة: الاقتداء بفسقه العلماء والعباد ؛ فأتى بقوله ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣٤] ، وبقوله: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧] .

****

قال رحمه الله تعالى : «**التاسعة : الاقتداء بفسقة العلماء والعُبَّاد**»؛ أي من فسق من العلماء والعباد ، أُشتُهر بعلم أو أُشتُهر أيضاً بعبادة ثم وقع في فسق قلَّ أو كثر ؛ فمن الجاهلية الاستدلال بمن فسق من العلماء والعُبَّاد يستدلون بفعله على صحة الأمر . وهذا كثير في الناس في قديم الزمان وحديثه؛ يستدلون على صحه الأمر بمن فسق من العلماء والعباد ، والله عز وجل رد هذا الاستدلال .

قال: «**فأتى بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾**» فليس دليلاً احتجاج الإنسان على معصية من المعاصي أو إثم من الآثام أو منكرٍ من المنكرات بِكون العالم الفلاني يفعله أو بِكون العابد الفلاني يمارسه ؛ هذا لا يعدُّ دليلاً ، ومَن الذي قال إن العالم معصوماً أو العابد معصوماً ، فليس مسوِّغًا كون العابد أو العالم يقع بخطأٍ من الأخطاء أو تجرُّه نفسه أو يضعف فيقع في خطأٍ من الأخطاء أو زلة من الزلات فيُجعل ذلك دليلاً على صحة ذلك الأمر .

قال : «**وبقوله: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾**» ؛ الشاهد من ذلك :أن الاحتجاج بالعلماء أو العُبَّاد من فسق منهم ووقع في المعاصي والمنكرات وجعلُ ذلك دليلاً على صحة هذه المعصية بكون العالم الفلاني يفعلها أو العابد الفلاني يفعلها هذا من الجاهلية، العالم قد يذنب وأيضاً العابد قد يذنب ، وإذا أذنب لا يُجعل وقوعه في الذنب دليلا على صحة الأمر .

قال رحمه الله :

العاشرة: الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم ،كقولهم ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود:٢٧] .

****

هذه المسألة العاشرة وهي: «**الاستدلال على بطلان الدين**» أي : الدين الصحيح الذي بعث به الأنبياء «**بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم**» يقولون : هؤلاء عقولهم ساذجة ، أفهامهم قاصرة، رأيهم هو الرأي الذي يبدو لأول الأمر، ليس عندهم عمق في الرأي وتبصُّر في الأمور وإنما يأخذون بالشيء الذي يلوح من أول مرة دون أن يتبصروا بالأمور ويتحققوا من الأشياء ؛ فيجعلون هذا دليلاً على بطلان الحق بأن أفهام أهله ضعيفة وحفظهم ضعيف وقليل يقولون هذا دليل على بطلان الحق الذي يدعو إليه الأنبياء أنَّ أتباع الأنبياء أفهامهم ضعيفة وحفظهم قليل ؛ وهذا كله أشياء يقولها هؤلاء يردون بها الحق ويسوغون بها الباطل .

وعندما يتحدثون هنا عن الأفهام يتحدثون عن أفهام بلغوا بها مبالغ من أمور الدنيا كما نبهه الله تعالى على ذلك

بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم:٧] ، وهؤلاء عندما يتحدثون عن الأفهام لا ينصرف حديثهم إلا عن الفهم في أمور الدنيا . فإذا منَّ الله عز وجل على رجل ضعيف في أمور الدنيا ولا يضبطها ولا يعتني بها ولم تأخذ اهتمامه ثم أكرمه الله سبحانه وتعالى وهداه إلى الدين الصحيح يجعل أولئك مثل هذا دليل على بطلان ما جاء به الأنبياء ؛ أن أتباع الأنبياء أصحاب الرأي القاصر الرأي الذي يؤخذ عندما يلوح أول مره فيجعلون ذلك دليلاً لهم يستدلون به على بطلان الدين الصحيح .

قال رحمه الله تعالى :

الحادية عشر: الاستدلال بالقياس الفاسد كقولهم : ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [ابراهيم:١٠] .

****

أيضا من الأدلة التي يستعملونها وهي تدل على جاهليتهم: «**الاستلال بالقياس الفاسد**»؛ يأتون بأقيسة فاسدة يردون بها الحق ، ومثَّل ذلك المصنف بقولهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أي مثلنا لكم اليد والسمع والبصر ، نحن وإياكم سواء فما الذي ميَّزكم ؟! ما الذي جعلكم أنبياء ونحن لسنا أنبياء؟! أو جعلكم أهل الحق ونحن لسنا بأهل الحق؟! ما الذي ميزكم أنتم بشر مثلنا؟! فهذا قياس فاسد . الأنبياء بشر نعم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ لكن الله عز وجل أكرمهم بماذا؟﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠] أكرمه الله بالوحي ، والله سبحانه وتعالى يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ، فهم بشر مثل البشر لكن الله عز وجل أكرمهم ومنَّ عليهم بالرسالة وتمام العبودية لله جل وعلا .

قال رحمه الله تعالى:

الثانية عشرة : إنكارُ القياسِ الصحيح ، والجامع لهذا وما قبله عدم فهم الجامع والفارق.

****

قال رحمه الله تعالى : «**إنكار القياس الصحيح**» أي من ضمن جاهلية هؤلاء أنهم ينكرون الأقيسة الصحيحة ؛ وهي البراهين والحجج الواضحات التي تدل على كمال الحق وصحته وسلامته يردُّونها ولا يقبلونها، وبالمقابل يستخدمون أقيسة فاسدة يحتجون بها ويردون بها الحق . مثلا : الآن عندما استعملوا القياس الفاسد الماضي بعدم صحة ما جاء به الأنبياء قالوا ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ ، لو جئت إلى هذا القياس وعكسته عليهم في أمور يسلِّمون بها ، مثل تميّز شخص عليهم بكثرة الأولاد مثلاً أو تميّز شخص عليهم بملكٍ أو جاهٍ ، فيقال : أتُقرُّون

لفلان بكثرة الأولاد تقرون له بجاهه ومكانته ومنزلته في الناس؟ يقولون نعم ، يقال : لم تقرُّون له بهذه الأمور التي خُصَّ بها ومُيِّز بها وأنتم بشر مثله ؟! ما الذي ميّزه عليكم ؟! فيُقلب عليهم نفس القياس الذي استدلوا به ؛ فكونهم بشر لا يعني أنهم متساوون وليس بينهم تمايز ، البشر كلٌّ يدرك تمايزهم وتفاضلهم ، والله عز وجل يمنّ على من يشاء بالعقل والفهم والذكاء والزكاء والصلاح والاستقامة ؛ هي منن الله عز وجل وهباته وعطياته، ومن ذلك منَّته على من يشاء من عباده بالنبوة والرسالة يجتبي من يشاء ويصطفي من يشاء ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨] له تبارك وتعالى الأمر من قبل ومن بعد.

قال: «**إنكار القياس الصحيح ، والجامع لهذا وما قبله عدم فهم الجامع والفارق**» يعني سبب الخلل في الأمرين أي في استعمال القياس الفاسد أو انكار القياس الصحيح عدم فهم الجامع والفارق . لاحظ الآن في مسألتنا هذه وقد ذكرت لكم الدليل السابق لهم أو القياس الفاسد لهم ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ وعكسه، أردت بذكر عكسه حتى ننتبه للمسألة التي يشير إليها الشيخ «عدم إدراك الجامع والفارق» الجامع: البشرية ، الفارق: أمور كثيرة ، فهم لا يدركون الجامع والفارق ، يجعلون الجامع وهو البشرية دليلاً على إنكار النبوة ، إذا كنتم تجعلون كون الجامع البشرية دليلاً على إنكار النبوة من لازم ذلك أن تنكروا أمور كثيره أنتم تسلّمون بها فيها تمايز بين الناس ، من ضمن ذلك ما أشرت إليه: كثرة الأولاد مثلا، أو مثلا كثرة الأموال الملك أو الرئاسات أو غير ذلك . الجامع في هؤلاء البشرية فما الذي ميزهم؟ يقال لهم . إذًا كون هؤلاء يُعملون الأقيسة الفاسدة وينكرون الأقيسة الصحيحة السبب في ذلك كما يقول المصنف: «الجامع لهذا» أي إنكار الصحيح «وما قبله» استعمال القياس الفاسد «عدم فهم الجامع والفارق» ومن هنا وجد في القوم الخلل .

ونكتفي بهذا القدر والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .